كتاب السنة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

الكويت - شارع الصحافة - مقابل مطابع الرأي العام التجارية
هاتف: ٤٨١٩٠٣٧ فاكس ٤٨٣٨٤٩٥
الجهراء: ص. ب: ٢٨٨٨ - الرمز البريدي: ١٠٣٠
Website: www. gheras. com
E-Mail: info@ gheras.com

كتاب السنة

تأليف

الإمام السلفي والحافظ الأثري

أبي عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي

(٢٠٢ - ٢٩٤هـ)

رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى بمنه وكرمه

حققه نصوصه وضبطها، وخرج أحاديثه وآثاره، وعلق عليه

أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي السلفي

كان الله له، وعفا عنه بمنه وكرمه

"الطبعة العلمية الكاملة محققة على نسختين خطيتين"

بسم الله الرحمن الرحيم

به ثقتي، وعليه اعتمادي واستنادي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مضل له، ومن يضلل؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإن السنة النبوية تتبوأ منزلة عظيمة في الإسلام؛ فهي البيان الأمين والتطبيق العملي المتين لكتاب رب العالمين، المنزل على قلب خاتم النبيين، وقد جاءت عاضدة لآياته، كاشفة لغوامضه، مجلية لمعانيه، شارحة لألفاظه، موضحة لإبهامه، كما أنها جاءت بأحكام لا توجد في كتاب الله، ولم ينص عليها فيه، وهي لا تخرج عن قواعده وغاياته، فلا يمكن الاستغناء عنها بأي حال؛ وذلك لأهميتها العظمى في فهم دين الله والعمل به.

وبهذا نتبين منزلة السنة ومكانتها في التشريع، وأنه لا يمكن الاستغناء عنها، بل لا يمكن أن يفهم الكتاب بمعزل عن السُّنَّة، وأي دعوة لفصل أحدهما عن الآخر إنما هي دعوة ضلال وانحراف، وفي حقيقتها دعوة إلى هدم الدين، وتقويض أركانه، والقضاء عليه من أساسه.

وقد قام الإمام محمد بن نصر المروزي -رحمه الله- في بيان هذا المقام مقاماً أميناً، وأبلى في الدفاع عن سنة رسول الله ﷺ بلاء حسناً، فكان كتابه «**السنة**» حجة على المتشككين أو المعرضين، أو المغرضين، وجاء به على طريقة أهل الحديث في التصنيف؛ فأورد الأحاديث والآثار بأسانيدها، ولما كان مصدرًا هامًّا من مصادر السنة التي لا يستغنى عنها في بابها؛ كان لا بد من تحقيق نصوصه، وتوثيقها، وتخريج أحاديثه وآثاره؛ لتتم فائدته، وتكتمل غايته.

وقد شرعت في ذلك منذ عقدين من الزمن، وجاءت ظروف جعلتني انقطع عن الاستمرار، حتى أذن الله لي بذلك؛ فله الفضل والمنّة، ومنه التوفيق والسداد، فتمّ الأمر على خير.

عملي في الكتاب

١- إثبات صحة نسبة الكتاب للمؤلف، وأن للإمام المروزي -رحمه الله- كتابًا بهذا الاسم.

٢- بذل وسعي وطاقتي في إخراج هذا السفر العظيم على صورة صحيحة، مقاربة لما تركه الإمام المروزي -رحمه الله-، وذلك بنسخ المخطوط، ومقابلته على النسخ المطبوعة.

٣- قمت بإثبات جميع الأخطاء في النسخ المطبوعة، وبيان ما لها وما عليها.

٤- قمت بإثبات بعض الفروق بين المخطوط والنسخ المطبوعة.

٥- ضبطت الآيات القرآنية الواردة في الكتاب على المصحف، ووضعتها بين قوسين منجمين ﴿ ﴾؛ مبينًا سورها ورقمها دبر الآية.

٦- خرجت الأحاديث النبوية، والآثار السلفية تخريجًا علميًّا موسعًا، اعتمدت فيه على قواعد علم مصطلح الحديث؛ التي حبّرها الأوائل من علماء الحديث تحبيرًا، وورثها من كل خلف عدوله، فقعّدوها تقعيدًا.

وقد سرت في تخريج الأحاديث والآثار على النحو الآتي:

أ- الحكم على إسناد «المؤلف» حكمًا مستقلاً، ثم أبين درجة الحديث عمومًا، ثم أخرج الحديث بسيطًا موسعًا من كتب السنة المتداولة، وفصلت طرقه تفصيلاً، وحللت وجوهه تحليلاً.

ب- خرجت الأحاديث التي علقها المؤلف، أو ذكرها بدون إسناد.

وكذا فعلت في جميع الآثار.

ت- وضعت أرقامًا متسلسلة لأحاديث الكتاب وآثاره المسندة، في بداية كل حديث أو أثر.

٧- ضبطت نص الكتاب ضبطًا متميزًا عن جميع النسخ المطبوعة، وعنيت بعلامات الترقيم عناية جيدة، وقد حاولت أن يكون الكتاب كله مشمولاً بذلك

حسب الجهد والطاقة.

٨- ضبطت الغريب بذكر تفسيره من كتب «غريب الحديث»، وشكلت ما يحتاج لذلك.

٩- عرفت بالبلدان والأماكن والبقاع الواردة في الكتاب.

١٠- علقت على بعض المواضع التي تحتاج إلى تعليق، أو مزيد بيان وتوضيح؛ مما له صلة بالمسائل العقدية والفقهية، والفوائد المنهجية.

١١- كتبت مقدمة متواضعة للكتاب، عرفت من خلالها بالسنة وأهميتها، والمؤلف وكتابه.

١٢- صنعت فهارس علمية، وكشافات تحليلية؛ تعين طالب العلم على الوصول إلى غايته بيسر وسهولة؛ وهي:

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية.

٣- فهرس مسانيد الصحابة.

٤- فهرس الآثار.

٥- فهرس شيوخ المصنف ومروياتهم.

٦- فهرس البلدان والأماكن والبقاع.

٧- فهرس القبائل والفرق والأقوام.

٨- فهرس الرواة والأعلام المترجم لهم.

٩- فهرس الفوائد.

١٠- فهرس المصادر والمراجع.

١١- فهرس الموضوعات.

هذا ما تيسر لي -بفضل الله وتوفيقه- من خدمة هذا الكتاب النافع، ولا أزعم السلامة من الهفوات، ولا العصمة من الزلات والعثرات، فما كان فيه من صواب؛ فمن الله وحده، وما كان من خطأ؛ فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله.

فيا أيها القارئ له: لك غنمه وعليَّ غرمه، لك ثمرته وعليَّ تبعته، فما وجدت فيه من صواب وحق؛ فاقبله، ولا تلتفت إلى قائله، بل انظر إلى ما قال؛ لا إلى من قال، وقد ذمَّ الله -تعالى- من يردُّ الحق إذا جاء به من يبغضه، ويقبله إذا قاله من يحبه؛ فهذا خُلُق الأمّة البغيضة.

قال بعض الصحابة: «اقبل الحق ممن قاله -وإن كان بغيضًا-، ورُدَّ الباطل على من قاله -وإن كان حبيبًا-».

فما وجدت فيه من خطأ؛ فإن كاتبه لم يأل جهد الإصابة، ويأبى الله إلا أن يتفرد بالكمال، وكيف يعصم من الخطأ من خُلِقَ ظلومًا جهولاً؟! ولكن من عدت غلطاته؛ أقرب إلى الصواب ممن عُدَّت إصاباته[1].

وختامًا: لا يسعني إلا أن أشكر كل من ساهم في تقديم يد العون لي؛ مساهمة في إخراج هذا الكتاب بهذه الحلة الجميلة، التي نرجو الله العلي العظيم أن يجعل فيها النفع والفائدة لأهل العلم وطلابه.

فالله أسأل بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى: أن يتقبل مني جهد المقل؛ نصرة لدينه، وذبًّا عن سُنة نبيه ﷺ، ونصحًا لعامة المسلمين وخاصتهم؛ فإنه بكل جميل كفيل،وهو حسبي ونعم الوكيل، وعلى الله قصد السبيل.

وكتبه

حامدًا ومصلّيًا ومسلّمًا

أبو أسامة سليم بن عيد بن محمد بن حسين

الهلالي نسبًا، السلفي عقيدة ومنهجًا

النجدي موطنًا، الفلسطيني الخليلي مولدًا، الأردني دارًا وإقامة، في

مجالس متعددة آخرها ضحى يوم السابع من جمادى الآخرة

سنة (١٤٢٦ هـ)، في داري الكائنة في عمان البلقاء

عاصمة جند الأردن من بلاد الشام المحروسة

---

(١) انظر: «مدارج السالكين» (٣/ ٥٢٢) بتصرف.

التعريف بكتاب «السنة»

اسم الكتاب، ونسبته إلى المؤلف:

لا أعلم خلافًا بين أهل العلم أن الإمام محمد بن نصر المروزي -رحمه الله- ألف كتابًا في بيان السنة ومنزلتها من الكتاب الكريم، وحذر من البدع والاختلاف.

وقد ذكر غير واحد من أهل العلم ذلك، ونوّهوا على أن للإمام المروزي -رحمه الله- كتابًا باسم «السنة»، وممن ذكر ذلك:

١- الإمام البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) في كتابه «معرفة السنن والآثار» (٦/ ٣٧٩).

وروى -أيضًا- في «السنن الكبرى» (٦/ ٢٦٨) و(٨/ ٢٢١-٢٢٢) حديثين من طريق الإمام المروزي، وهما في هذا الكتاب (رقم ٢١٨ و٣٢١).

٢- شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في «مجموع الفتاوى» (٥/ ٢٤).

٣- بدر الدين العيني في «عمدة القاري» (٢٥/ ٢٦)، حيث قال: «ووصل تعليقه -هذا- محمد بن نصر المروزي في «كتاب السنة»، والجوزقي من طريقه، قال محمد بن نصر: حدثنا يحيى بن يحيى...».

ثم ذكر أثر عبدالله بن عون الآتي (رقم ٩٥).

٤- الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٢٥١).

وروى في «تغليق التعليق» (٥/ ٣١٩-٣٢٠) أثر عبدالله بن عون السابق من طريق المصنف به، وهو في كتابنا -هذا- (رقم ٩٥).

ورواه -أيضًا- ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٣/ ٢٣٣) من طريق المصنف.

٥- البغدادي في «هدية العارفين» (٦/ ٢١).

وقد وقفت على طبعة سقيمة جدًّا لكتاب «السنة»، صدرت عن (دار الوطن) السعودية، تحقيق علي الشبل (!).

ومن ذلك أن المحقق (!) لم يستطع الجزم بنسبة هذا الكتاب، ولمن هو؟!

فطبعه بعنوانين:

الأول: كتاب «الاعتصام بالكتاب والسنة» لأحمد بن نصر الخزاعي.

الثاني: كتاب «السنة» للإمام المروزي.

ويكفي لرد هذا التردد وتلك الحيرة ما ذكرته آنفًا؛ فهي لا تدع أي مجال للشك في صحة نسبة الكتاب للإمام المروزي، وأزيده الآن وجوهاً أخرى؛ منها:

١- أن الإمام المروزي -نفسه- روى في كتابه الآخر «تعظيم قدر الصلاة» (١/ ٩٥/ ١١) حديث عبدالله بن شقيق، عن رجل من بلقين، عن ابن عم له؛ قال: «أتيت النبي ﷺ...»، وهو في هذا الكتاب بسنده ومتنه سواء، انظر رقم (١٣٧).

٢- شيوخ المصنف في كتاب «السنة» أكبر دليل على ما ذكرت؛ فإن هنالك شيوخًا كثيرين لم يرو عنهم الخزاعي المذكور ألبتة، بل ولا رآهم، ولا ذكروا في ترجمته -أو ترجمتهم- أنه يروي عنهم!

٣- أن المصنف كثير النقل عن الإمام الشافعي، فهو -رحمه الله- كان متأثرًا به جدًّا، حتى أطلقوا عليه لقب (الشافعي الثاني)، وهذا النقل يستحيل أن يكون من أحمد الخزاعي المذكور؛ لعدم اشتهاره بالأخذ والنقل عن الشافعي، ثم ما هو مذكور في هذا الكتاب عن الشافعي قد رواه المروزي عن شيخه الربيع بن سليمان المرادي، ولا نعرف لأحمد الخزاعي المذكور رواية عنه.

٤- لم يذكر أحد من أهل العلم السابقين أن أحمد الخزاعي له كتاب بهذا الاسم، ولا ذكروه في ترجمته، ولا نوهوا به لا من قريب ولا من بعيد؛ حتى شيخ الإسلام ابن تيمية، فإنه ذكر في «مجموع الفتاوى» (٥/ ٢٤) كثيرًا من العلماء الذين ألفوا في هذا الباب -باب السُّنة-، ولم يذكر الخزاعي المذكور منهم، مع تقدّمه، وعلو طبقته.

٥- أنهم ذكروا في ترجمة أحمد بن نصر الخزاعي أنه يروي عن الإمام مالك ابن أنس، وحماد بن زيد، وسفيان بن عيينة، وهذه الطبقة، ومؤلف هذا الكتاب

-محمد ابن نصر المروزي- يروي عن هؤلاء بواسطة، فلو كان مؤلف هـذا الكتـاب أحمد بن نصر الخزاعي -المدعى-؛ لروى عن هؤلاء مباشرة دون واسطة.

٦- ذكـر الإمـام المـزي في «تهذيـب الكمـال» (١/ ٥٠٦) أن الخزاعـي -هذا- لم يحدث إلا بشيء يسير، والناظر في هذا السفر العظيم يرى خـلاف ذلـك؛ فثبت يقينًا أن نسبة كتاب «السُّنة» لأحمد بن نصر الخزاعي باطلة، لا تصحُّ، هذا ممـا لا مجال للشك فيه.

وما ذكر المعلق من أن اسم مؤلف «السُّنة» أحمد بن نصر الخزاعي ثابت علـى غلاف النسخة الخطية مما لا يضير؛ فإن ذلك من أوهام الناسخ دون ريب، ولا يلزم أن يكون الناسخ عالمًا بهذا الشأن حتـى نحكـم بعـدم وهمـه وغلطـه في مثـل هـذه الأمور، والله أعلم.

لكن ماذا نفعل بالمعتدين على تراث السلف (؟!).

طبعات الكتاب والنسخة المعتمدة

وقفت على عدة طبعات:

الأولى: طبعت في المكتبة الأثرية بباكستان، وكذلك أعيد طباعتها في مطابع دار الفكر بدمشق، ونشرتها دار الثقافة الإسلامية بالرياض دون تاريخ وبدون تحقيق، عدا تعليقات يسيرة، وقد وقع فيها بعض الأخطاء الطباعية، وأخرى في متون الأحاديث وأسانيدها.

الثانية: طبعت في مؤسسة الكتاب الثقافية ببيروت، سنة (١٤٠٨ هـ)، وقد خرج أحاديثها وعلق عليها: أبو محمد سالم بن أحمد السلفي، وفاته تخريج الآثار، فلم يعرج إلا على القليل منها، وكذلك فاته تخريج بعض الأحاديث.

الثالثة: طبعت في دار الوطن السعودية، سنة (١٤٢٢ هـ).

وقد قام على تحقيق نصها على نسخة مخطوطة: علي بن عبدالعزيز بن علي الشبل، ولم يعرّج على تخريج الأحاديث إلا لمامًا، وأما الآثار، فلم يعتن بشيء من ذلك، وقد وقع فيها تصحيفات شنيعة، وأخطاء فظيعة، ولعل أهمها عنوان الكتاب، كما بينته آنفًا.

الرابعة: طبعت في دار العاصمة بالرياض، سنة (١٤٢٢ هـ)، وقام على تحقيق نصوصها على نسخة مخطوطة أخرى منقولة عن أصل النسخة الأولى: الدكتور عبدالله بن محمد البصيري، عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية في المدينة النبوية.

وهذه الطبعة أفضل طبعات الكتاب؛ لأمور:

١- اعتماد المحقق على نسخة خطية للكتاب.

٢- اعتناؤه بتخريج الأحاديث والآثار تخريجًا من رأس القلم.

وقد وقع المحقق في هفوات، وزلق في عثرات، دفعتني للاستمرار في تحقيق الكتاب، وتخريج أحاديث وآثاره، والتعليق عليه، وقد نبهت على جميع ذلك في حواشي الكتاب.

ومما يؤخذ على جميع الطبعات السابقة:

١- وجود تصحيفات أفسدت كثيرًا من مراد المصنف، وأدت إلى تضعيف أحاديث، وتصحيح أخرى.

٢- قلة دراية محققي الكتاب بعلم الحديث والرجال، وضعف خبرتهم بالصناعة الحديثية، فقد وقعت لهم أخطاء تضحك منها الثكالى، وقد نبهنا عليها في مواضعها من الكتاب.

٣- عدم اتقان قراءة المخطوط مما أوقعهم في إشكالات لا ينبغي لمن تصدى لتحقيق كتب السنة أن يقع في مثلها.

*** النسخ المعتمدة:**

١- نسخة مكتبة شيخنا محدث المدينة النبوية العلامة السلفي حماد الأنصاري -رحمه الله-، وقد صورتها من مكتبته منذ عشرين سنة، في بعض زياراتي للمدينة النبوية.

وهي بخط نسخي جيد، وكتب في أولها: «وقد ضاع من أولها قدر ورقتين، فليعلم ذلك».

وجاء عنوان الكتاب في أولها: «كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة» للإمام الجليل، والعالم النبيل أحمد بن نصر الخزاعي -رحمه الله- وعفا عنه بمنه وكرمه، آمين.

وكتب في آخرها: «آخر ما أخرج من هذا الكتاب إلى ههنا، وهو آخره، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

وقد وقع الفراغ من نسخ الكتاب ضحى يوم الأحد لخمس مضين من رجب المحرم، بقلم الفقير إلى ربه: حمد بن محمد، غفر الله له، ولوالديه، ولمشايخه، ولإخوانه المسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم».

وكتب -أيضًا- في آخرها: «بلغ مقابلة وتصحيحًا، فالحمد لله وحده».

٢- نسخة مكتبة الشيخ القاضي صالح سالم البنيان، وهي نسخة حديثة الكتابة، وقد كتبها عالم نجدي، هو الشيخ سليمان بن سحمان، وكان يمتهن النسخ، ولم يكن بالمتقن، كما يظهر من النسخة المعتمدة.

كتبت هذه النسخة بخط نسخ تعليق، والعناوين والفصول وكلمة «حدثنا»، و«قال أبو عبدالله» بخط بارز واضح نسخي كبير، وأحيانًا بالمداد الأحمر؛ تنبيهًا عليها.

أما بقية الكتاب، فبالمداد الأسود.

وتملك هذه النسخة الشيخ صالح سالم البنيان، المتوفى سنة (١٣٣٠ هـ)، وهذه النسخة تقع ضمن مجموع يحوي كتابين؛ أحدهما: كتابنا هذا، والآخر: «الوابل الصيب» لابن قيم الجوزية، ووقع اسمه: «القطر الصيب في الكلم الطيب».

وجاء في آخر النسخة: «وقد وقع الفراغ من نسخ هذا الكتاب ضحى يوم الاثنين لتسع وعشرين من ذي الحجة، بقلم الفقير إلى ربه: سليمان بن سحمان، غفر الله له، ولوالديه، وللمسلمين آمين، وصلى الله على محمد، وآله وصحبه وسلم».

والنسخة مقابلة على أصلها ومصححة ومقروءة عليه، يظهر ذلك من البلاغات والتصحيحات على حواشيه.

وكتب على آخر حاشيتها: بلغ مقابلة وتصحيحًا، والحمد لله وحده.

ويوجد سقط في الكتاب ألحقه ناسخه في حواشيه.

وبعد اطلاعي على هذه النسخة ترجّح لدي أنها ونسخة مكتبة الشيخ حماد نقلتا عن أصل واحد للوجوه الآتية:

١- عنوان الكتاب على النسختين واحد.

٢- وجود نقص بمقدار ورقتين في أول المخطوط.

ولذلك لم أفرق بينهما، وعزوت لها بقولي: في المخطوط.

ترجمة المصنف -رحمه الله-

*** اسمه، ونسبه، وكنيته:**

هو أبو عبدالله، محمد بن نصر بن الحجاج[١] المروزي.

والمروزي: نسبة إلى (مرو)؛ وهي أشهر مدن خراسان، وأكبرها.

*** ولادته ونشأته:**

ولد الإمام محمد بن نصر المروزي في بغداد، سنة (٢٠٢ هـ)، ونشأ بنيسابور[٢]، وسكن سمرقند[٣].

قال أبو العباس -محمد بن عثمان- السمرقندي: سمعت أبا عبدالله -محمد بن نصر- المروزي يقول: «ولدت سنة اثنتين ومئتين، وتوفي الشافعي سنة أربع ومئتين، وأنا ابن سنتين، وكان أبي مروزيًّا، وولدت أنا ببغداد، ونشأت بنيسابور، وأنا اليوم بسمرقند، ولا أدري ما يقضي الله فيَّ»[٤].

قلت: ولم يخالف في ذكر ولادة المصنف -رحمه الله- إلا ابن حبان؛ فإنه ذكر في كتابه «الثقات»[٥] أن ابن نصر ولد سنة مئتين (٢٠٠ هـ)!

ولا شك أن المصنف -رحمه الله- أدرى بنفسه من غيره.

ونظرًا لما يتمتع به المصنف -رحمه الله- من فرط ذكاء وفطنة، وهمة عالية في طلب العلم، وشهرة شيوخه، وعلو كعبه؛ فقد أصبح من كبار أهل العلم

---

(١) قال الإمام الذهبي في «السير» (١٤/ ٣٣): «ولم يرفع لنا في نسبه».

(٢) بفتح أوله؛ مدينة عظيمة مشهورة، وهي عاصمة خراسان.
انظر: «معجم البلدان» (٥/ ٣٣١).

(٣) بفتح أوله وثانيه، وسكون الراء المهملة؛ بلد معروف مشهور بما وراء النهر.
انظر: «معجم البلدان» (٣/ ٣١٦).

(٤) «تاريخ بغداد» (٣/ ٣١٦).

(٥) (٩/ ١٥٣).

المشهورين المعروفين بخراسان؛ لذا كان يُرْحَل إليه ويُقْصَد بالفتيا دون غيره.

وقد ساعده في ذلك: تلقيه العلم من كبار أهل العلم الراسخين؛ مثل: إسحاق بن راهويه، ويحيى بن يحيى التميمي، وعلي بن حجر، وعمرو بن زرارة، وغيرهم.

قال أبو ذر -محمد بن يوسف- القاضي: «كان الصدر الأول من مشايخنا يقولون: رجال خراسان أربعة: ابن المبارك، وابن راهويه، ويحيى بن يحيى، ومحمد ابن نصر»[(١)].

* صفاته الخَلْقِيَّة والخُلُقية:

قال محمد بن يعقوب الأخرم واصفًا الإمام المروزي: «كان من أحسن الناس خَلْقًا، كأنما فقئ في وجهه حبُّ الرمان، وعلى خديه كالورد، ولحيته بيضاء»[(٢)].

وقال الإمام الذهبي: «وكان مليح الصورة»[(٣)].

وقال الإسنوي: «وكان من أحسن الناس صورة، ذا لحية بيضاء»[(٤)].

أما صفاته الخُلُقية؛ فحدث عنها ولا حرج، فإنه نهل من أدب وسمت النبي ﷺ الشيء الكثير؛ فقد كان صاحب سنة واتباع شديد لهدي النبي ﷺ، وكان شديدًا على أهل البدع، ذا سمت حسن، عابدًا، زاهدًا، صاحب عقل كبير.

قال أبو بكر بن إسحاق الصبغي: «لم نر بعد يحيى بن يحيى من فقهاء خراسان إمامًا أعقل من محمد بن نصر»[(٥)].

وقيل لأبي بكر بن إسحاق: «ألا تنظر إلى تمكن أبي علي الثقفي في عقله؟ فقال: ذاك عقل الصحابة والتابعين من أهل المدينة، قيل: وكيف ذاك؟ قال: إن

---

(١) «طبقات الشافعية الكبرى» (٢/ ٣٤٧).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٣٧)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٢/ ٤٢).

(٣) «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٦٥٢).

(٤) «طبقات الشافعية» (٢/ ١٩٦).

(٥) «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٦٥١).

مالكًا -يعني: ابن أنس- كان من أعقل أهل زمانه، وكان يقال: صار إليه عقل الذين جالسهم من التابعين، فجالسه يحيى بن يحيى النيسابوري، فأخذ من عقله وسمته، ثم جالس يحيى بن يحيى محمد بن نصر سنين، حتى أخذ من سمته وعقله، فلم ير بعد يحيى من فقهاء خراسان أعقل من ابن نصر، ثم إن أبا علي الثقفي النيسابوري جالسه أربع سنين، فلم يكن بعده أعقل من أبي علي»[(١)].

وقال السبكي: «أحد أعلام الأمة وعقلائها وعبادها»[(٢)].

*** أسرته وأولاده:**

لم تذكر المصادر والمراجع عن أسرة هذا الإمام -على جلالة قدره- إلا الشيء اليسير، ومما ذكروه بهذا الصدد:

- أنه تزوج بأخت القاضي يحيى بن أكثم، واسمها (خَنَة)[(٣)].

- أنه -رحمه الله- كانت له جارية.

قال الإمام المروزي: «خرجت من مصر ومعي جارية لي، فركبت البحر أريد مكة، قال: فغرقت وذهب مني ألفا جزء، وسرت إلى جزيرة أنا وجاريتي، فما رأينا فيها أحدًا، وأخذني العطش، فلم أقدر على الماء، قال: فأجهدت، فوضعت رأسي على فخذ جاريتي مستسلمًا للموت، فإذا رجل قد جاءني ومعه كوز، فقال لي: هاه، فأخذت وشربت، وسقيت الجارية، ثم مضى، فما أدري من أين جاء، ولا من أين ذهب»[(٤)].

- أنه -رحمه الله- كان له ولد اسمه: إسماعيل، ورزقه الله إياه في كبر سنه.

قال أبو الفضل بن محمود: «كان أبو عبدالله يتمنى على كبر سِنّه أن يولد له

---

(١) «السير» (١٤/ ٣٤-٣٥).

(٢) «طبقات الشافعية الكبرى» (٢/ ٢٤٦).

(٣) بمعجمة، ثم نون.

انظر: «السير» (١٤/ ٣٩)، و«طبقات الشافعية الكبرى» (٢/ ٤٢)، و«الوافي بالوفيات» (٥/ ١١).

(٤) «تاريخ بغداد» (٣/ ٣١٧)، و«السير» (١٤/ ٣٧-٣٨).

ابن، فكنا عنده يومًا من الأيام، فتقدم إليه رجل من أصحابه فسارّه في أذنه بشيء، فرفع أبو عبدالله يديه، وقال: ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ﴾ [إبراهيم: ٣٩]، ثم مسح وجهه بباطن كفه[١]! ورجع إلى ما كان فيه.

قال: فرأينا أنه استعمل في تلك الكلمة الواحدة ثلاث سنن: تسمية الولد، وحمد الله على الموهبة، وتسميته إسماعيل؛ لأنه ولد له على كبر سِنّه، وقال الله -عز وجل-: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾ [الأنعام: ٩٠]»[٢].

قال السبكي -عقبه-: «فنستفيد من هذا أنه يستحب لمن ولد له ابن على الكبر أن يسميه إسماعيل، وهذه مسألة حسنة!».

قلت: استحباب ذلك وجعله من السنن والأمور الحسنة مما لا أصل له في شرعنا الحنيف؛ وهو غير لازم، فهذا نبينا محمد ﷺ رزق إبراهيم -عليه السلام- على كبر سنه، وفي أواخر حياته، وهذا زكريا -عليه السلام- رزق يحيى -عليه السلام- على كبر سنه، ومع ذلك لم يسمياه باسم إسماعيل!

لا سيما وأن التحسين والتقبيح إن كانا موجودين؛ فلا يثبتان بالعقل بل بالشرع، ولا دليل من الشرع على استحباب ذلك واستحسانه، ولا فعله السلف الأوائل، ولا استحبه أحد من أهل العلم السابقين.

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

-أما بالنسبة لكنية المؤلف- رحمه الله-؛ فلا أدري إن كان له ولد يسمى (عبدالله)، أم هي كنيتة فحسب، والله أعلم.

وابنه إسماعيل -المذكور آنفًا- لم يكن حسن السيرة، بل كان على النقيض من حال والده:

قال أبو محمد -عبدالله بن محمد- الثقفي: «سمعت جدي يقول: جالست أبا

---

(١) لا يصح في مسح الوجه بباطن الكف بعد الدعاء شيء.

(٢) «طبقات الشافعية الكبرى» (٢/ ٢٥٢)، و«تذكرة الحفاظ» (٢/ ٦٥٢)، و«البداية والنهاية» (١١/ ١٠٣).

عبدالله المروزي أربع سنين، فلم أسمعه في طول تلك المدة يتكلم في غير العلم؛ إلا أني حضرته يومًا وقيل له عن ابنه إسماعيل وما كان يتعاطاه؛ لو وعظته -أو زبرته-؟ فرفع رأسه، ثم قال: أنا لا أفسد مروءتي بصلاحه»[١].

*** الحالة الاقتصادية للمؤلف:**

قال أبو عبدالله الأخرم: «انصرف محمد بن نصر من الرحلة الثانية سنة ستين ومئتين، فاستوطن نيسابور، فلم تزل تجارته بنيسابور، أقام مع شريك له مضارب، وهو يشتغل بالعلم والعبادة»[٢].

وقال محمد بن عبدالوهاب الثقفي: كان إسماعيل بن أحمد -والي خراسان- يصل محمد بن نصر في العام بأربعة آلاف درهم، ويصله أخوه -إسحاق- بمثلها، ويصله أهل سمرقند بمثلها، فكان ينفقها من السنة إلى السنة، من غير أن يكون له عيال، فقيل له: لو ادخرت لنائبةٍ؟ فقال: سبحان الله! أنا بقيت بمصر كذا وكذا سنة، قوتي وثيابي وكاغَدي[٣] وحبري وجميع ما أنفقه على نفسي في السنة عشرون درهمًا، فترى إن ذهب ذا لا يبقى ذاك؟!»[٤].

---

(١) «معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه» (٢٨٠-٢٨١/ ١٧٩)، و«تاريخ بغداد» (٣/ ٣١٧).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٣٦).

(٣) هو القرطاس.

(٤) المصدر السابق (١٤/ ٣٧).

حياة المؤلف العلمية

* طلبه للعلم ورحلاته:

«إن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم، والسبب في ذلك: أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم،وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علمًا وتعليمًا وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقينًا بالمباشرة؛ إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكامًا، وأقوى رسوخًا، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها.

فالرحلة لا بد منها في طلب العلم؛ لاكتساب الفوائد، والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال»[١].

قلت: وقد كان للإمام المروزي -رحمه الله- حظٌّ وافر، ونصيب زاخر في هذه الرحلات العلمية؛ فطاف البلاد، وارتحل إلى مدن إسلامية عدة في طلب العلم.

واتجهت همته إلى طلب الحديث وهو في سن مبكرة، وهذا ظاهر من تاريخ وفيات شيوخه، فإن من شيوخ المصنف المعروفين: عبدالله بن عثمان بن جَبَلة بن أبي روّاد العَتَكي، الملقب بـ (عبدان)، وهو قد توفي سنة (٢٢١ هـ)، والمصنف -رحمه الله- ولد سنة (٢٠٢ هـ)، وهذا يعني: أنه طلب علم الحديث قبل سن التاسع عشرة.

كما توفي يحيى بن يحيى التميمي النيسابوري، ومحمد بن مقاتل الكسائي المروزي -وهما من كبار شيوخه، وقد أكثر عن الأول- سنة (٢٢٦ هـ).

قال الخطيب البغدادي: «رحل إلى سائر الأمصار في طلب العلم»[٢].

وقال الحافظ ابن كثير: «رحل في الآفاق، وسمع من المشايخ الكثير النافع»[٣].

---

(١) «مقدمة ابن خلدون» (ص ٥٤١).

(٢) «تاريخ بغداد» (٣/ ١١٥).

(٣) «البداية والنهاية» (١١/ ١٠٩).